لغة الجرائد

(تابع لما قبل)

ويقولون سوّلت لهُ نفسهُ بفعل كذا فيزيدون باآءً على مفعول سوّل والصواب سوّلت لهُ فعل كذا

ويقولون رجع بالثاني يريدون مُطلَق الرجوع فيزيدون قولهم بالثاني ولا معنى لهذه الزيادة بل هي مفسدة للمعنى لانها توهم ان الرجوع كان مرّتين . على انهُ مع ارادة هذا المعنى ايضاً فالتركيب غير صحيح لانك لا تقول فعلت كذا بالثالث وفعلتهُ بالرابع وكأن الذي استدرجهم اليهِ قولنا فعلتهُ في الاول الآن . الاول هنا اسمٌ يراد بهِ ما يقابل الآخر لا الرتبة العددية والصواب رجع ثانياً او ثانيةً اي رجوعاً ثانياً او مرةً ثانية وكذا فيما يليهِ

ويقولون لبث بموضع كذا الى غاية شهر اكتوبر مثلاً يعنون الى ان دخل شهر اكتوبر لكنهم يزيدون لفظ الغاية مضافاً الى الشهر فينقلب المراد عن جهتهِ ويكون المعنى انهُ لبث الى آخر شهر اكتوبر لان غاية الشيء بمعنى آخرهِ ونهايتهِ . والصواب اسقاط لفظ الغاية والاكتفاء بلفظ الى وهي تدلّ على الغاية التي يريدون التعبير عنها الا انها تكون لما قبلها اي لمدة اللبث لا لما بعدها وبذلك يستقيم المعنى

ويقولون من الاسف ان الامر كذا وكذا يريدون من دواعي الاسف مثلاً فيجعلون الامر نفسهُ من الاسف وهو غريب

ويقولون يجب عليهِ مهما يكن من امرهِ ان يفعل كذا فيأتون بالفعل

بعد مهما في مثل هذا التركيب مضارعاً وهو ممنوع في افعال الشرط اذا كان الجواب او ما في معناهُ متقدماً على اداة الشرط لما يلزم عنهُ من إعمال الاداة في الشرط حالة كونها غير عاملة في الجواب . فالصواب في مثل هذا العدول في فعل الشرط الى الماضي لان اثر الجزم لا يظهر فيهِ لفظاً فتقول اكرم زيداً متى زارك ولا تقول اكرمهُ متى يَزُرْك

ويقولون هذا افضل من ذاك نوعاً وتحسَّن الامر نوعاً يريدون افضل قليلاً وتحسَّن شيئاً او من بعض الوجوه مثلاً فيعبّرون بلفظ النوع ولا معنى لهُ في هذا الموضع

ويقولون هذه السلعة تعلُّق فلان اي ملكهُ وهو استعمالٌ عاميٌّ ولعلهُ من لغة الدواوين

ويقولون سيصير الشروع في الامر وصار بيع السلعة بالمزاد اي سيُشرَع في الامر وبِيعت السلعة فيعدلون الى هذا التركيب الركيك وهو من لغة الدواوين ايضاً

ويقولون هذه الخصلة من احسن الخصائل وانما الخصائل جمع خصيلة وهي كل عصبة فيها لحمٌ غليظ . والصواب في جمع الخصلة خِصال بالكسر وهو القياس

ويقولون فلان من ذوي الشطارة والمهارة يريدون بالشطارة معنى المهارة كما تقولهُ العامة وانما الشطارة في اللغة صفة الشاطر وهو الذي اعيا اهلهُ خبثاً

ويقولون ارضٌ قحلاء اي مجدبة ولم يُحكَ الوصف من هـذه المادة

على أَفعَل وانما يقال شيء قاحل اي يابس

ويقولون هل ستفعل كذا يريدون النصّ على الاستقبال في الفعل فيأتون بالسين بعد هل وهو خطأ لان هل اذا دخلت على المضارع خصّصتهُ للاستقبال مثل السين وحينئذٍ يجتمع حرفان لمعنى واحد فالصواب حذف السين

ويقولون فعل هذا بغير رضآئي فيمدّون الرِضَى وهو مقصورٌ في الاشهر واما الرضآء بالمدّ فهو بمعنى المراضاة مصدر راضاهُ مثل القتال من قاتَل

ويقولون تحرَّى عن الامر اي بحث ونقّب ولذلك يعدّونهُ بعن وانما تحرَّى بمعنى طلب الأَحرَى تقول تحرَّيت الشيء اي تعمدتهُ وخصصتهُ بالطلب وانا اتحرَّى بهذا الامر مرضاتك اي اقصدها واتوخاها

ويقولون اعتنق دين كذا اي صبأ اليهِ ودان بهِ وهو من التعريب الحرفي عن اللغات الاوربية واللفظ العربيّ في هذا المعنى انتحل دين كذا اي اتخذهُ ديناً لهُ وهو نِحلتهُ بالكسر

ويقولون في جمع القهوة قهاوي وهذا مثل قولهم في جمع الكسوة كساوي وقد تقدّم ذكرهُ في غير هذا الموضع وكلاهما متابعةٌ للعامّة والصواب قهوات

ويقولون ولَّى فلانٌ الادبار ويقرأونهُ الإدبار بكسر الهمزة على انهُ مصدر ادبر وهو من التراكيب التي لا تصحّ لان المصدر الموكّد لا يعرَّف بأل . وانما اصل هذا التعبير ان يقال ولَّى القومُ الأَدبار وولَّوا أدبارهم بفتح الهمزة اي جعلوا ظهورهم تلي عدوَّهم كناية عن انهزامهم لان المنهزم يطلب

الجهة المخالفة لموقف عدوّهِ فيوليّهِ قفاهُ

ويقولون سعى في ايجاد مطلوبهِ اي في ان يجِدهُ فيستعملون المصدر من أوجَد الرباعيّ مع انهم يقولون في الفعل وَجَد مطلوبهُ بصيغة الثلاثي وشتان ما بين الصيغتين في المعنى وقد مرّ مثل هذا قريباً . والصواب سعى في وِجدان مطلوبهِ

ومثلهُ قولهم انا قليل الإعبآء بهذا الامر اي قليل المبالاة بهِ مع انهم يقولون في الفعل هذا امرٌ لا اعبأ بهِ بصيغة المجرَّد . على ان مصدر هذا الفعل وهو العبْء مهجورٌ في الاستعمال فالاولى العدول عنهُ الى المبالاة او الاكتراث او الاحتفال او غير ذلك والالفاظ بهذا المعنى كثيرة

(ستأتي البقية)

غرائب البصر [1]

ذكرنا فيما تقدم ان حسّ البصر متوقف على العُصيّات والجُزَيرات لكن ظهر بعد الاغراق في البحث ان لكلٍّ من هاتين الطائفتين وظيفةً في ادراك المُبصَرات ليست للأُخرى فان العُصَيّات تشعر بقوّة النور مجرَّدةً فترتسم عليها اشكال الاشباح بحدودها وما عليها من مواقع الضوء والظلّ لكنها لا تُدرِك الوانها ولكن ادراك الالوان من خصائص الجُزَيرات المنبثّة بينها . وعلى هذا بنى بعضهم ان شبكية الحيوانات الليلية كالخفّاش والبومة لا جزَيرات فيها

---

(١) انظر صفحة ٢٣٨

وهذا عينهُ يُرَى في بعض الناس ممن يميّزون اشباح المُبصَرات ولا يفرقون بين بعض الوانها وهي الآفة المعروفة بالدَلتونِسْم او الدلتونية نسبةً الى عالمٍ انكليزي من علمآء الطبيعة يسمى دَلتُون كان مبتلًى بالآفة نفسها . واصحاب هذه الآفة قد تكون فيهم كلّية بمعنى انهم لا يميزون شيئاً من الالوان على الاطلاق وهو قليل وقد تكون جزئية بحيث يدركون بعض الالوان دون بعض وهو الغالب . واشدّ الالوان خفآءً عليهم البنفسجي فانهم لا يفرقون بينهُ وبين الاحمر فيكون اللونان عندهم شيئاً واحداً . وقد اثبت الاختبار ان نحو ثلث الدلتونيين لا يميزون الازرق من الاخضر ومنهم من يخلط بين الاحمر والاخضر فيراهما لوناً واحداً ومثل هؤلآء لا يميزون الكرَز الناضج مثلاً من الفِجّ كما لا يميزون لون ورق الورد من لون زهرهِ اذ كلاهما عندهم احمر او كلاهما اخضر . ولا يخفى ان من كان كذلك لا يجوز استخدامهُ في بعض الوظائف كتولي الاشارات في سكك الحديد والسفن لما يترتب على الاخلال في ذلك من الخطر العظيم . ولما كان اصحاب هذه الآفة يكتمونها في الغالب لم يكن بدٌّ لمن يطلب الدخول في مثل الوظائف المذكورة ان يُمتحَن قبل اتخاذهِ لها ليُوثَق ببرآءتهِ من الآفة المذكورة . اما طريقة الامتحان فهي هذه على ما رسمهُ المسيو سَنْدُرْف

تُبسَط قِطَعٌ من نسيج الصوف مختلفة الالوان على ملآءةٍ بيضآء في يومٍ صافٍ ثم تُختار منها قطعةٌ خضرآء صافيةٌ جدًّا بحيث لا تضرب الى الصُفرة ولا الى الزُرقة فتوضع الى جانب ثم يكلَّف الممتحَن ان يضع بجانبها جميع القطع التي من لونها بدون ان يسمَّى لهُ اللون الذي اختير

لامتحانهِ . فاذا خلط بين الالوان بان يضع بجانب الاخضر الرمادي او نحوهُ من الالوان الصافية عُلِم انهُ مكفوف البصر عن الالوان وان وُجِد متردداً في بعض الالوان فلا يتخيرها الا بعد توقُّف وحيرة عُلم ان قوة ادراك الالوان في بصرهِ لا تخلو من آفة

على ان الخلط في ادراك الالوان قد يكون لغير آفةٍ في عضو البصر وذلك ان الشبكية ينطبع فيها لون المبصرات كما تنطبع فيها اشكالها. ومعلومٌ ان الالوان قد تكون بسيطةً كألوان الطيف وقد تكون مركبةً فان الاخضر مثلاً يمكن ان يركّب من الاصفر والازرق . وكذلك البنفسجي فانهُ يركّب من الاحمر والازرق والنارنجي فانهُ يركب من الاحمر والاصفر. وعليهِ فاذا عمدنا الى دائرةٍ وقسّمناها اقساماً وجعلنا لكل قسم منها لوناً ثم ادرناها بسرعةٍ فان هذه الالوان تنطبع كلها على الشبكية في وقتٍ واحد على التقريب ويختلط بعضها ببعض فيكون المُدرَك منها في البصر اللون الناشئ عن مجموعها. فاذا كان بعض هذه الاقسام اصفر و بعضها ازرق ظهرت لنا في حال الدوران خضرآء. واذا كان بعضها احمر و بعضها ازرق ظهرت بنفسجية وهكذا . واذا جعلنا لكلٍّ من الاقسام المذكورة لوناً من الوان الطيف السبعة تراكبت تلك الالوان على الشبكية فلا يتميز شيء منها بنفسهِ ولكن يُرى مجموعها الذي هو النور الابيض

وهناك امرٌ آخر وهو ان الشبكية كما تتعب اذا طال تأثرها بالنور الابيض فانها تتعب اذا طال تأثُّرها باحد الالوان على خصوصهِ واذ ذاك لا تعود تشعر بذلك اللون ولكن شعورها ينقلب الى متمّمهِ وهو اللون الذي

اذا اجتمع معهُ نشأ عن اجتماعهما اللون الابيض. وذلك كما اذا اطلت نظرك الى الشمس عند الغروب وهي حمرآء ثم نظرت الى جهةٍ اخرى من السمآء فانك ترى صورة الشمس على نحو ما ارتسمت في الشبكية الا انها خضرآء وكذا اذا كتبت حيناً بالحبر الاحمر ثم كتبت بعدهُ بالاسود فانك تراهُ اخضر. بل قد يحدث مثل ذلك بدون سبق تأثُّر للبصر باحد الالوان وذلك كما اذا نظرت في الوقت الواحد الى رقعتين احداهما بجانب الاخرى وهما متخالفتان في اللون فان كل واحدة منهما تظهر كانها تستمد شيئاً من متِمّ لون الاخرى فاذا كانت احداهما حمرآء والاخرى صفرآء فالحمرآء تضرب الى اللون الازرق الذي هو متُمّ لون الاصفر والصفرآء تضرب الى اللون الاخضر . اه

قلنا بل هناك امرٌ اغرب واظهر وهو انك اذا اخذت صحيفة خضرآء وكتبت عليها بالسواد ثم غطيتها بورقةٍ رقيقةٍ تامة البياض بحيث تشفّ عما تحتها رأيت لون الكتابة احمر واذا كان لون الصحيفة احمر ظهرت الكتابة خضرآء او كان لونها اصفر ظهرت الكتابة زرقآء وهلم جرًّا وكلما كان لون الصحيفة اشرق ظهر لون متمّهِ اوضح وهذا ما لم نجد من تنبه لهُ والله اعلم

دخل زياد بن ابيهِ على عمر بن الخطاب فاجلسهُ احسن مجلس وبينما هو جالس عندهُ دعا بكاتبهِ فاسرّ اليهِ بما يكتبهُ فشرع يكتب فقال زياد انهُ كتب غير ما أُمر بهِ . فقال عمر وانى لك هذا . فقال اني رأيت حركة قلمهِ لا توافق حركة شفتيك . فاخذ عمر الكتاب ونظر فيهِ فاذا هو على غير ما أملى كما قال زياد

هلالٌ ام هلالان

— ١ —

نشر الاب شيخو اليسوعي في العدد الرابع والعشرين من مجلد السنة الثانية لمشرقهِ الأغرّ مقالةً للقيم بن هلال الصابئ في « الضوء وحقيقتهِ » نقلها عن كتب أرسطوطاليس حنين بن اسحاق العِبادي الشهير[١] وقد استهلّها حضرة الاب بتوطئةٍ جاء في ختامها ما نصهُّ (المشرق ٢ : ١١٠٨) :

ولعلّ قائلاً يقول ما معنى عنوان هذه الرسالة انها « للقيّم بن هلال

(١) توفي حنين المذكور سنة ٢٦٠ هـ (٨٧٤ م) وكان طبيباً ماهراً وفصيحاً لسناً شاعراً . وهو اشهر من نقل كتب اليونان الى العربية . كان يعرف من اللغات العربية والسريانية واليونانية والفارسية ونقلهُ في غايةٍ من الجودة . (راجع ترجمتهُ وقائمة كتبهِ في تاريخ ابن خلكان (١ : ١٦٧) وتاريخ ابن ابي اصيبعة (١ : ١٨٤) وتاريخ ابن العبري ص٢٥٠ وتاريخ سورية للعلاّمة المفضال المطران يوسف الدبس (٥ : ٣٣٤) — وقد ذكر ابن خلكان (١ : ٦٧) في ترجمة ولدهِ اسحاق بن حنين اصل تسميتهِ بالعبادي فقال ما نصهُ :

« والعباديّ بكسر العين المهملة وفتح البآء الموحدة و بعد الالف دالٌ مهملة هذه النسبة الى عباد الحيرة وهم عدّة بطون من قبائل شتى نزلوا الحيرة وكانوا نصارى ينسب اليهم خلق كثير منهم عدي بن زيد العبادي الشاعر المشهور وغيرهُ . قال الثعلبي في تفسيرهِ في سورة المؤمنين في قولهِ تعالى : « فقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون » اي مطيعون متذللون والعرب تسمي كل من دان لملكٍ عابداً لهُ . ومن ذلك قيل لاهل الحيرة العباد لانهم كانوا اهل طاعة لملوك العجم » انتهى . وقال الشاعر

يسقيكها من بني العباد رشأ   منتسبٌ عبدهُ الى الاحدِ

الصابئ » . (نقول) ان المراد بذلك ان جامع هذه الرسالة وهو حنين صنّفها باللغة السريانية ثم نقلها بعدهُ الى العربيّة القيم بن هلال . ونظن ان ابن ابي أُصيبعة وابن النديم لم يذكرا هذه الرسالة لان صاحبها وضعها باللسان السرياني . ومن المحتمل ان القيّم المذكور نقّحها وهذّبها فقط . والله اعلم

واما القيّم بن هلال الصابئ المذكور فاننا لم نجد لاسمهِ ذكراً على هذه الصورة . والمرجّح انهُ هلال ابن ابي هلال الحمصي الذي ذكرهُ ابو الفرج بن النديم في الفهرست (ص ٢٤٤ و٢٦٧) وانهُ ابن اخت الكاتب الشهير ثابت بن سنان بن ثابت بن قرة الصابئ (راجع تاريخ ابن العبري ص ٢٩٥)[١] . وقد اشتهر كلاهما في القرن الرابع للهجرة الموافق للقرن العاشر للمسيح » انتهى

فمن أجال في هذا الكلام طرف التدقيق وسبرهُ بمسبار النقد والتحقيق وراجع النصوص التي استند اليها الاب شيخو في كلامهِ عن هلال الحمصي وقابل بين ما كتبهُ عنهُ هنا وما كتبهُ عنهُ في غير هذا الموضع من مشرقهِ الاغرّ يرى في تلك الاقوال من التناقض والاختلاف ما يدل على ان حضرة الاب مرتكب متن الخطإِ والخلط . وجارٍ على سنن المجازفة والخبط . واليك بيان ذلك :

جاء في تاريخ ابن العبري المذكور (طبعة الاب صالحاني ص ٢٩٦) ما يأتي :

(١) كذا والصواب صفحة ٢٩٦

« وكان في ايام المطيع لله وفي امارة الاقطع معزّ الدولة احمد ابن بويه ثابت بن سنان بن ثابت بن قرة وكان بارعاً في الطب عالمًا باصوله فكاً كاً للمشكلات من الكتب ... وعمل ثابت هذا كتاب التاريخ المشهور في الآفاق الذي ما كتب كتاب (والصواب ما كتب كاتبٌ) في التاريخ اكثر مما كتبهُ وهو من سنة نيف وتسعين ومائتين الى حين وفاتهِ في (احد) شهور سنة ثلاث وستين وثلاثمائة . وعليهِ ذيل ابن اختهِ (والصواب لابن اختهِ) هلال ولولاهما لجُهل شيء كثير من التاريخ في المدتين » انتهى

فالمفهوم مما ذكرهُ ابن العبري ان لثابت بن سنان الصابئ ابن اخت اسمهُ « هلال » . واما هل هو هلال الحمصي كما زعم الاب شيخو او هلال غيرهُ فلا يتكلم عن ذلك شيئاً

وجآء في مجلة المشرق للاب شيخو نفسهِ (٣ : ٩١١) ما يأتي :

« (هلال بن ابي هلال الحمصي) اما هلال بن ابي هلال فهو احد الاطبآء الذين نقلوا كتب اليونان الى العربيّة . قال في حقهِ ابن ابي اصيبعة (١ : ٢٠٤) : « كان صحيح النقل ولم يكن عندهُ فصاحة ولا بلاغة في اللفظ » . اشتهر في ايام المأمون وخدم بين يدي محمد بن موسى الفلكي الشهير . ومن نقلهِ كتاب المخروطات لابلنيوس من برغا » . انتهى

فلا يكاد القارئ اللبيب يُنهي قرآءة هذه الشذرة حتى يشعر معنا بشطط حضرة الاب عن مهيع الصواب . ويرى من تخليطهِ في اقوالهِ المتضاربة ما يقضي بالعجب العجاب . فانهُ قال في مقدمة مقالة الضوء (المشرق٢:١١٠٨)

« ان هلالاً الحمصيّ اشتهر في القرن الرابع للهجرة الموافق للقرن العاشر

للمسيح . » . وقال هنا المشرق ٣ : ٩١١) : « انهُ اشتهر في ايام المأمون» وهو قد ولي الخلافة من سنة ١٩٨ الى سنة ٢١٨ هـ (٨١٣ — ٨٣٣ م)[1] اي في اوائل القرن الثالث للهجرة الموافق للقرن التاسع للمسيح . والفرق بين القولين كما ترى قرن واحد من الزمان (فقط ...)

كذلك زعم « ان هلالاً الحمصيّ ابن اخت ثابت بن سنان » . وقد رأيت مما اوردناهُ من نص ابن العبري — الذي استند حضرتهُ اليهِ — ان ثابتاً المذكور « كان في عهد المطيع العباسي » وهو قد ولي الخلافة من سنة ٣٣٤ الى سنة ٣٦٣ هـ (٩٤٦ — ٩٧٤م)[2] اي في اواسط القرن الرابع للهجرة والعاشر للمسيح . واما هلال فقد قال حضرتهُ انهُ « كان في عهد المأمون » اي قبل الزمن الذي عاش ثابت فيهِ بقرنٍ ونيف ... فكيف يمكن اذن ان يكون ابن اختهِ وهو اكبر من خالهِ بمئة سنة و زيادة ؟ ... أوَلا يجب لاصلاح هذه « الهدرة الشيخوتية » ان يُنسئ الله في عمر الجد ويجعلهُ قرنين من الزمان ؟ ... بل ألاَ يُستنتَج من كل ذلك ان هلالاً ابن اخت ثابت بن سنان هو غير هلالٍ الحمصيّ . وان حضرة الاب قد خلط بينهما و زعم انهما شخص واحد جرياً على عادتهِ في التخليط بين المتشابهات . (راجع مقالاتنا الماضية في هذه المجلّة ٥ : ٢٧٢ و٦٢٣ و٦ : ١٨٠)

— ٢ —

ولعلّ قائلاً يقول : فمن هو اذن هلال ابن اخت ثابت الذي خلط

(١) راجع مجاني الادب للاب شيخو (٥ : ٣٠٩)

(٢) مجاني الادب ٥ : ٣١٥

حضرة الاب بينهُ وبين هلال الحمصي . فنجيبهُ : جآء في كتاب عيون الانبآء في طبقات الاطبآء لابن ابي اصيبعة (١ : ٢٢٦) ما نصهُ : « وكان ثابت بن سنان خال هلال بن المحسن بن ابراهيم الصابئ الكاتب البليغ » . وقد اورد ابن خلكان في تاريخهِ (٢ : ٢٠٢) ترجمة مختصرة لهلال هذا نذكر هنا خلاصتها مع ما اتصل بنا من اخبارهِ المتفرقة في كتب التاريخ :

هو ابو الحسن — وقيل ابو الحسين[1] — هلال بن المحسن بن ابي اسحاق ابرهيم بن هلال بن ابرهيم بن زهرون بن حيّون الصابئ الحرّاني الكاتب حفيد ابي اسحاق الصابئ المشهور رئيس ديوان الرسائل ببغداد الذي كان اوحد الزمان في البلاغة وفريد الدهر في الكتابة . وُلد هلال سنة ٣٥٩ ﻫ (٩٧١م) ولما نشأ وشبّ تثقّف وتدرّب وتخرّج على جدهِ المذكور وورثهُ في رئاسة ديوان الرسائل وجلائل الامور . وكان من كبار العلمآء وافاضل الادبآء . ولهُ عدة تآليف ذُكرت في الاسفار التاريخية ولكن يد الحدثان قد ذهبت باكثرها واشهر تآليفهِ ذيلهُ على تاريخ خالهِ ثابت بن سنان وهو الكتاب الذي اشار اليهِ ابن العبري في الكلام الذي نقلناهُ عنهُ سابقاً وقد ضمّنهُ تاريخ الحوادث الى سنة ٤٤٧ ﻫ (١٠٥٥ م) . وقد ذكرهُ ونقل عنهُ ابن خلكان في تاريخهِ (٢ : ٣٥١) . وقد اعتنى بهذا التاريخ جماعة من اكابر العلمآء وذيلوهُ . وأوّلهم محمد بن هلال المذكور المدعو « غرس النعمة »[1] . ومنهم ابو يعلى حمزة بن اسد المعروف بابن القلانسي الدمشقي[2] . ومنهم ابن الهمذاني وابو الحسن الزاغوني والعفيف

(١) ابن خلكان ٢ : ٢٠٢ (٢) ابن خلكان ٢ : ٣٧٨

صدقة بن الحداد وابو الفرج بن الجوزي وابن القادسيّ الذي اوصلهُ الى سنة ٦١٦ هـ (١٢١٩ م)[1]

وكان هلال في اول امرهِ صابئاً على دين اجدادهِ ولكنهُ أسلم في آخر عمرهِ وتوفي سنة ٤٤٨ هـ (١٠٦٠ م)

— ٣ —

بقي علينا ان ننظر في هل نسبة مقالة الضوء وحقيقتهِ الى هلال الحمصي صحيحة ام لا . والذي نراهُ ان حضرة الاب مرتكب في نسبتها اليهِ غلطاً مبيناً . وذلك لعدة اسباب اهمُّها :

(١) ان صاحبها هو القيّم « بن هلال » وليس هلالاً

(٢) انها منسوبة الى رجل صابئ وهلال الحمصيّ لم يكن صابئاً

(٣) قد ذكر حضرة الاب ان حنيناً صنفها بالسريانية وان ابن هلال ترجمها بالعربية . مع ان هلالاً الحمصيّ — الذي يعزوها اليهِ — لم يُروَ عنهُ انهُ كان يحسن الترجمة عن السريانية بدليل قول الاب نفسهِ (المشرق ٣ : ٩١١) : « انهُ احد الاطبآء الذين نقلوا كتب اليونان الى العربية » ولم يقل « كتب السريان » راجع ايضاً تاريخ ابن ابي أصيبعة (١ :٢٠٣و٢٠٤)

ولعلّ حضرة الاب يغيّر رأيهُ هذا ويعزو المقالة الى هلال الصابئ . فنجيبهُ انهُ لم يُصب ولا بهذه النسبة ايضاً للسبب الاول الذي قدمناهُ وهو انها منسوبة الى « ابن هلال » وليس الى « هلال »

اما اذا سئلنا عن رأينا في هذه المسئلة فنقول ان الاحرى عندنا نسبة

(١) راجع كتاب كشف الظنون للحاج خليفة ٢ : ١٢٣

المقالة الى ولدهِ غرس النعمة محمد بن هلال الذي ذكرناهُ آنفاً . وهاك ما قالهُ في حقهِ ابن خلكان في ترجمة ابيهِ هلال :

« وكان ولدهُ غرس النعمة ابو الحسن محمد بن هلال المذكور ذا فضائل جمة وتآليف نافعة منها التاريخ الكبير المشهور ومنها الكتاب الذي سماهُ « الهفوات النادرة من المغفلين المحظوظين والسقطات البادرة من المغفلين الملحوظين » جمع فيهِ كثيراً من الحكايات التي تتعلق بهذا الباب »

وقد علمت مما مرّ ان والدهُ هلالا كان رئيساً لديوان الرسائل فلا يبعد ان يكون ولدهُ المذكور قد خلفهُ في منصبهِ . واما تسميتهُ في صدر مقالة الضوء « بالقيّم » (وهو في اللغة المتولّي على الامر) فلانهُ كان قائماً برئاسة الديوان . هذا هو الرأي الذي نراهُ اقرب الى الصواب . والله اعلم

احد القرّاء بحمص

الشعر العربيّ

من نظم حضرة صاحب السعادة سليم بك عنحوري الدمشقي الشاعر المشهور

الشعرُ درٌّ والخيال بحورُ … والفكر فُلكٌ في العُباب يَمُورُ

ما كلُّ غوّاصٍ اقاصي لجَّةٍ … يبدو لديهِ اللؤلؤ المذخورُ

حاز الفرائد كلَّ عصرٍ بِضعةٌ … مع انَّ رهط الغائصين كبيرُ

ما كلُّ من ركبَ الصوافنَ فارسٌ … يأوي الدِحالَ الليثُ واليعفورُ

او كلُّ من يسعى لمجدٍ نالهُ … ما كان بين العالمين خطيرُ

او كلُّ من نظمَ القريض اجادهُ … ما قيل ذا فحلٌ وذا شعرورُ

بعضُ القرائح نفحةٌ عُلويّةٌ والبعضُ ريحٌ بالهبآء تثورُ
من تلك يبعثُ للصدور نسائمٌ تحيي ومن هذي قذًى وكدورُ
يا مَن يظن الشعرَ ما وَزَنَ الفتى نظماً لانتَ الجاهل المغرورُ
كم من نظامٍ لم يكن شعراً وكم شعرٍ يقال ولفظهُ منثورُ
فالشعرُ ما ابتكر الذكآء مولداً معنًى لهُ يرتاح منكَ شعورُ
فاذا أتى نظماً فتلك صناعةٌ أخرى جلاها الطبع والتحريرُ

* * *

لهجت بهِ الاعرابُ دون تصنعٍ فيهِ لَجاءٍ وحسنهُ مفطورُ
يلج القلوب بلا حجابٍ قبل ان يلج المسامعَ لفظهُ المأثورُ
شعرٌ كما انتظم الحباب ودونهُ لذوي الحصافة نشوةٌ وحبورُ
هو في الوغى نخرٌ وفي حال الهوى سحرٌ وفي وقت الصفا شحرورُ
جلست بهِ الشعرآء في دَسْت العلى يعنو لهم ملكٌ سما ووزيرُ
ويهابهم في الحَرب كل سميذعٍ ويثيبهم زمنَ السلام اميرُ
فهمُ الملوكُ على الملوكِ رضاهمُ غُنْمٌ وسُخطهمُ اسًى وثبورُ

* * *

ولقد غدا من بعد ذلك حرفةً لهمُ بها يسترزق المسورُ
يتكلفون بهِ ثنآءً كاذباً مع ان حبل الكاذبين قصيرُ
اضحى سجلاً للمديح وللرثا ولسرد وصفٍ جلّهُ تزويرُ
وسطا على المعنى الجناسُ فلم يزل ينقاد بين يديهِ وهو نَفُورُ
سلكوا بهِ عكس المراد جهالةً فجرى بضيعة مجدهِ المقدورُ

هدموا بسوء صنيعهم اركانهُ　　فبدا خراباً بيتهُ المعمورُ

***

ولقد اتاح لهُ الزمان اليوم مَن　　يحلو لهُ الابدال والتغييرُ
نهضت بهِ بعد السقوط قرائحٌ　　بأشعة العلم الصحيح تسيرُ
لم تتخذهُ ذريعةً لمغانم　　يوليكها الممدوح وهو حقيرُ
لبس القريض بها طرازاً معلماً　　ما إن حكاهُ عسجدٌ وحريرُ
قد عاد رونقهُ القديم مجدَّداً　　وانجاب عن ارجائهِ الديجورُ
وزكت منابتهُ واخصب روضهُ　　وجلا المحاسن رقُّهُ المنشورُ
فلتنظم الاقلام فيهِ قلائداً　　منها يفيض على المدارك نورُ
فبهِ غدا هومير بعد مماتهِ　　حيًّا تصوغ لهُ الفخار عصورُ

مطالعات

مرض جديد — من غريب ما حدث في لندرا بين عمال السكك الحديدية الكهربائية تحت الارض مرضٌ لم يكن معروفاً من قبل مسببٌ عن الهوآء المضغوط الذي يُرسَل في الأنفاق ليتنفس منهُ العمال

واعراض هذا المرض تظهر احياناً بما يشبه اعراض التسمم بالاشربة الروحية فيشعر المصاب بآلام مُمضّة فان ضغط الهوآء البالغ ثلاثة اضعاف من ضغط الهوآء الجوّي او نحو ٣٬٣ كيلغرامات على السنتيمتر المربع يشقّ غشاء الاذن وكثيراً ما حدث عنهُ الفالج وربما سبب الموت . وعلى الجملة فان اكثر العمال يشكون ألماً في الآذان والاسنان وجميعهم يشكون آلاماً في

في مفاصل الركبتين وتشتدّ تلك الآلام حتى ان اجلد الرجال لا يملكون انفسهم من الصياح . وقد اصيب في اثنآء العمل في نفق باكرستريت وسكة حديد واترلو تحتِ التاميز ٤٧ عاملاً بهذا المرض من ١٢٠ عاملاً في اثنآء ستة اشهر . وهذا مع مزيد عناية الطبيب الذي لم يبرح ملازماً للعمال وكان لا يأذن لاحد في دخول النفق اذا لم يكن قلبهُ سليماً من كل آفة او اذا كان من المعاقرين

وكان العمال كلما بُدّلوا يعوَّدون الرجوع الى الهوآء الخارجي شيئاً فشيئاً ومن الغريب في تلك الحال انهُ كان عند اطلاق الهوآء المحبوس وانتشارهِ فوق النهر يجيش مآء النهر كانهُ مرجلٌ عظيم حتى كان يصعب على السفن ان تجري فيهِ

اقدم ساعة ضاربة — اقدم ضوارب الساعات التي لم تزل مستعملة ساعة كنيسة بيتربوروف الكبرى صنعت سنة ١٣٢٠ وصانعها احد الرهبان وهي تمتاز عن سائر الساعات بأنها تدور بدولاب من الخشب محيطهُ اثنتا عشرة قدماً فيلتف عليهِ حبلٌ طولهُ نحو ثلاث مئة قدم منوط بهِ ثقل من الرصاص وزنهُ نحو ٣٥ اقة ويُلَفّ ذلك الحبل على الدولاب بادارتهِ كل يوم ولها جرس عالي الرنين ثقلهُ نحو ٦٠٠ اقة يضرب كل ساعة بمضربٍ ثقلهُ ٢٨ اقة ومجال حركة الرقاص بضع اذرع (النشرة الاسبوعية)

نظر سليمان بن وَهْب وزير المهتدي يوماً في المرآة فرأى شيباً كثيراً فقال عيبٌ لا عدمناهُ

اسئلة واجوبتها

القاهرة — لما قرظتم خطاب « المرأة في الشعر » للدكتور نقولا فياض البيروتي في ضيآئكم الأغر تاقت النفس الى تلاوته فطالعتهُ واذا في الصحيفة الحادية والعشرين منهُ الفقرة الآتية

« واني اذكر في هذا العرض نكتة عن اليازجي كبير شعرآئنا رواها لي ابي وكان كثير التردد عليهِ . قال كان الشيخ اذا ضاقت قريحتهُ ينادي يا أُمّ حبيب فتأتي زوجتهُ وتقف امامهُ حيناً ثم يبتسم لها ويصرفها فيعود الى نظمهِ الشائق وقد فُتح عليه »

فهل ما رواهُ ابو الخطيب صحيح وان لم يكن صحيحاً كما أُرجح فكيف وقع نظركم على رواية مثل هذه ولم تفندوها تفنيداً مع انكم اخذتم على الخطيب في عرض التقريظ جملة امور رأيتموها تستحقُّ المؤاخذة . فارجوكم تعليق سؤالي مع جوابهِ في الضيآء الأغرّ جلآءً للريب ثم استلفتكم الى الجملة الواردة بعد تلك الفقرة من ذلك الخطاب وبيان رأيكم فيها فانهُ حجةٌ لدينا في مثل هذا المقام كما هو في غيرهِ من سائر فنون الادب وكفى

سليم عنحوري

الجواب — اما ما رواهُ ابو الخطيب وبعبارةٍ اخرى ما نسبهُ الخطيب الى ابيهِ من تلك الرواية السمجة فهو من التقوُّلات التي لا يُعقل صدقها . واول دليلٍ على اختلاقهِ استظهارهُ على صحة هذه الحكاية بان اباهُ « كان كثير التردد عليهِ » اي على والد صاحب هذه المجلة يعني ان ما ذكرهُ كان

مما جرى بحضرتهِ وشهدهُ بنفسهِ . ولا يلزم التكذيب هذه المقالة الا ان نعرّفهُ ان الشاعر ليس بنجارٍ يضرب بقدومهِ او خياطٍ يغرز ابرتهُ حتى يعمل عملهُ بحضرة زوّارهِ وهم بين يديهِ يحادثونهُ ويحادثهم بل كثيرٌ من ارباب الصنائع الدقيقة يتوقفون عن العمل في مثل تلك الحال مخافة ان يفسد عليهم عملهم فما الظن بشاعرٍ يصرف ذهنهُ الى خلق المعاني ويغوص بخواطرهِ على بعيد التصورات ويهتمّ بتخيرُّ الالفاظ والتراكيب وينظر لكل بيتٍ القافية التي تنزل منهُ منزلها وهل يكون ذلك الا وهو خالٍ بنفسهِ لا يشاغل حسّهُ مشاغل ولا يحول بينهُ وبين خواطرهِ حائل

على ان دعواهُ ان اباهُ كان كثير التردد عليهِ لا صحة لها لضعف الجامعة بين الفريقين اذ لم يكن ابوهُ من اهل العلم ولا من اهل الشعر انما كان من بعض معارفهِ الذين يزورونهُ في الاعياد والدواعي الكبيرة . وفضلاً عن ذلك فان المعرفة بينهما لم تكن الا في اواخر حياة المرحوم اي حين كان ابن ستين سنة وكانت « ام حبيب » فوق الخمسين وانظر اي صبوةٍ كانت تنشأ في فؤاد مثل هذا الشاب الغيساني عند نظرهِ الى تلك الكاعب الهيفآء . . . واغرب من هذا ما صوّرهُ بعد ذلك من تمام هذه الرواية حيث ذكر انهُ كان بعد ان تقف امامهُ يبتسم لها ثم يصرفها فهل رأيت ابلد من هذا التمثيل واقلّ معنى منهُ وهل هذا كلهُ الا اختلاقٌ ظاهر يدل على ذهنٍ فاتر وتصورٍ قاصر

هذا اذا كان الخطيب يقصد مما ذكرهُ الجدّ وان اباهُ حقيقةً روى لهُ تلك الرواية وهو مما نشكّ في صحتهِ لما عرفنا في ابيهِ من الرصانة والكمال

وصدق اللسان والترفع عن مثل هذا السُخف المَعيب الذي اراد ولدهُ ان يلصقهُ بهِ فاعتدى بذلك على حرمة شيخين جليلَين نائمين في اكفانهما احدهما والدهُ والآخر لا يقلّ فضلهُ عليهِ عن فضل والدهِ الا وهو الذي في كتبهِ تعلَّم وعلى كلامهِ تخرَّج ومن الفاظهِ اقتبس فلم يزد على ان جعل كليهما مورداً لما اخترعهُ من تلك المُلحة الصبيانية

واما اننا لم نفنّد هذه الرواية عند تقريظنا للخطاب فلأننا لم نتتبَّع كل سطرٍ فيهِ لما نحن فيهِ من ضيق الوقت وتزاحم الاشغال فضلاً عن انهُ ليس بكتابٍ علمي يتعين علينا ان نستقري كل ما فيهِ ولكننا تصفحناهُ تصفحاً مجملاً وتكلمنا عليهِ كذلك فكانت هذه الرواية مما زلّ عنهُ البصر وكانها شعرت من نفسها بما لم يشعر بهِ قائلها فاستترت عنا بين اضعاف السطور...

واما ما ورد لهُ بعد ذلك من الكلام على الشعر والشعراء فما لو شئنا التفرغ لمثلهِ لزمنا ان نقصر القلم عليهِ وان نملأ صفحات الضياء بانتقاد مثل تلك السخافات ولاسيما مع ما هو معلوم من فوضى الاقلام في هذه الايام والله المسؤول ان يعرّفنا من اقدارنا ما يكفينا معرّة الافتضاح وان يلهمنا من الادب ما يكبح السنتنا عن الجماح ولا حول ولا قوة الا بالله

آثار ادبيّة

آية العصر — هو عنوان نبذةٍ من ديوان السريّ الالمعيّ الشاعر المطبوع صاحب السعادة سليم بك العنحوري جمع فيها المنظومات التي جادت بها قريحتهُ سنة ١٩٠٤ وهي النبذة الخامسة من شعرهِ . وقد تفنن فيها ما

شآء بين وصفٍ رائق وادبٍ فائق وغزَلٍ شائق الى اغراضٍ اخر مما انطوى على كل معنًى دقيق في اللفظ الرشيق فلا زال مصدراً للمحاسن يجلو علينا كل خريدةٍ من بنات افكارهِ ولا زلنا نتمتع بما يُطرِفنا بهِ الحين بعد الحين من بدائع اشعارهِ

دليل مصر والسودان — عُني حضرة الاديبين الامثلين « ثابت وانطاكي » بوضع دليلٍ مفصَّل لهذين القطرين التزما فيهِ ذكر كل ما تهمّ معرفتهُ من احوالهما وبيان ما فيهما من طبقات السكان على اصنافهم فسردا اسمآء موظفي الحكومة ومعتمدي الدول والرؤسآء الروحيين واعيان البلاد والمحامين والاطبآء والتجار واصحاب الصنائع وغيرهم من كل من لهُ علاقةٌ بالمجتمَع مع تعيين مقرّ كل واحدٍ منهم . وافتتحا الكتاب بملخص تاريخ مصر في عصرٍ بعد عصر من اول عهدها الى الزمن الحاضر والحقاهُ بتراجم عدةٍ كبيرة من اعيان القطر المصري ومشاهيرهِ مع رسومهم فجآء كتاباً وافياً بهذه المطالب كلها حريًّا بان يعتمدهُ اصحاب المصالح في كل ما يرومون الوقوف عليهِ من المعلومات المشار اليها . وقد عينا ثمن النسخة منهُ اربعين غرشاً اميريًّا وهو ثمنٌ قليل بالقياس الى ما يقتضيهِ مثل هذا العمل الكبير من العناية والبحث . فنأمل من جمهور المطالعين الاقبال عليهِ بما يُنهض من همة مؤلفيهِ الفاضلين ليزيداهُ تحسيناً في السنين المقبلة ويبلغا بهِ الى غاية ما في الامنية من هذا التأليف المفيد

فكاهات

شرلوك هولمز[1]

— ٢ —

بناء نوروود

قال الدكتور وطسن ولقد سرّني جدًّا عودة صديقي العزيز شرلوك هولمز الى عالم الاحياء فانقطعت اليهِ وعدت الى سابق عادتي معهُ عن ملاحظة الامور الخفية والسعي في كشف المعميات حسبما اتفقنا عليهِ اخيراً . ولكن عاندتنا الظروف فلبثنا مدة طويلة لم يحدث فيها ما يدعو الى انتباهنا وسعينا حتى ضجر صديقي وقال لي يوماً ارى يا عزيزي وطسن انهُ بعد ان مات موريارتي لم يعد يحدث في لندن ما يستحق ان نهتمّ بالبحث عنهُ . قلت بل الحوادث لا تنقطع ولكنك ايها العزيز قد غدوت لا تهتم الا بعويص المسائل وهذه لا ينتظر حدوثها في كل يوم . ثم غير شرلوك حديثهُ فقال وما فعلت ايها العزيز وطسن بمحل عيادتك . قلت بعتهُ لطبيبٍ يدعى ڤرنر وقد دفع لي ثمنهُ مبلغاً جسيماً لم اكن اظن قط انني سأحصل عليهِ . فتبسم شرلوك وعلمت بعد ذلك ان الطبيب المذكور كان من انسباء صديقي وانهُ هو اقرضهُ المبلغ ليشتري مني محل عيادتي كيما اتفرغ لمرافقتهِ والعمل معهُ بعد ما حصل في ما كتبتهُ سابقاً عن البيت المهجور

وحدث بعد ذلك انهُ بينا كنا في احد الايام معاً وقد فرغنا من طعام الغداة وانحاز شرلوك بكرسيهِ الى جانب يطالع جريدة الصباح اذا بقرعٍ عنيف على باب البيت الخارجي ولم يكد الباب ينفتح حتى سمعنا وقع اقدام مسرعة جدًّا تصعد السلم

(١) بقلم نسيب افندي المشعلاني

الى الغرفة التي نحن فيها . وفي اقل من دقيقة فُتح باب الغرفة واندفع منهُ الى الداخل فتىً في مقتبل الشباب اصفر اللون قد بانت في عينيهِ وملامحهِ علامات الجنون والاضطراب الشديد وقد انتشر شعرهُ واسرع نَفَسهُ فوقف امامنا واجال نظرهُ في كلٍ منا وكانهُ افاق على نفسهِ وشعر انهُ دخل فجأة بدون استئذان فنظر الى صديقي شرلوك وقال اعذرني يا مولاي ولا تلمني على ما ظهر مني فاني أكاد اجن وان شئت ان تعرف اسمي فانا الشقي التعِس يوحنا هكتور مكفرلين . وكانهُ ظن ان مجرد ذكر اسمهِ يوضح قصتهُ بتمامهـا فاختلست النظر الى صديقي فوجدتهُ مثلي لم يستفد كثيراً من سماعهِ ذلك الاسم . ولكنهُ تبسم في وجه الزائر وقال لهُ تفضل ايها العزيز مكفرلين وخذ هذا الكرسي فينظر صديقي الدكتور وطسن في حالتك ولعلهُ يصف لك دوآء يخفف عنك فان الحرّ الشديد في هذين اليومين قد اثر على كثيرين مثلك . ولكن لعلك الآن تتمكن من الجلوس واخبارنا بالتفصيل عن الامر الذي جئت فيهِ لانهُ لم يسبق لي ان رأيتك قبل الآن ولسوء الحظ لا اعرف عنك شيئاً . فقال الزائر انني اشقى واتعس انسان الآن في هذه المدينة العظيمة وقد جئت لاستحلفك بمروءتك وشرفك ان لا تتركني قبل ان اطلعك على حديثي بتمامهِ وان لا تسلمني الى رجال الشحنة قبـل ان اشرح لك جميع حالتي فانني اكون مسروراً ضمن سجني اذا علمت انك عارف بامري وانك تجتهد في العمل لخلاصي من الجنود الذين يسعون الآن في القآء القبض عليَّ

فقال شرلوك وقد تهلل وجههُ بشراً لشعورهِ بوجود امرٍ يقتضي انتباههُ . يسعون في القآء القبض عليك ؟ حقًّا ان هذا ليسرّ . . . ليسوءني جدًّا فبأي شيء انت متهم . قال الفتى اني متهم بقتل المستر جوناس اولداكر من نوروود . فبانت على وجه شرلوك علامات التأسف ممزوجة بدلائل الاستبشار عنـد سماعهِ بوجود ما ربما يستلزم مساعدتهُ واستشارتهُ في العمل . فقال انني كنت الآن اخاطب صديقي وطسن في هذا المعنى واتأسف لخلو لندن من الحوادث التي تستدعي تداخلنا . فاشرأب الزائر بعنقهِ ورمق الجريدة التي في يد شرلوك ولمـا

عرفها قال اذا قرأت الصفحة الثانية من هذه الجريدة يا مولاي تعرف الحامل لي على المجيء اليك الآن . والمقالة عنوانها الخطب السرّي في نوروود وفيها ذكر اختفاء بنّاء شهير وحصر الشبهة في متهمٍ هو انا وان رجال الشحنة تجد في اثري . وكنت قد اغتنمت الفرصة لفحص ملامح الرجل وسائر حليتهِ فرأيتهُ اشقر الشعر ازرق العينين جميل المنظر حليق اللحية غير متجاوز السابعة والعشرين من سنيهِ تلوح عليهِ امارات الاستقامة والشرف وقد بانت من جيبهِ عدة اوراق تدل على انهُ محامٍ . فقال شرلوك وقد ناولني الجريدة خذ يا عزيزي وطسن واقرأ لي المقالة التي يذكرها ضيفنا . فاخذت الجريدة ونظرت حيث ارشدني فقرأت ما يأتي

« حدث في الليل الغابر امرٌ هو من الجنايات الفظيعة وذلك ان رجلاً يدعى جون اولداكر بنّاء معروفاً في نوروود لهُ من العمر ثنتان وخمسون سنة وهو غير متزوج اعتزل الاشغال بعد ان جمع ثروة عظيمة وانقطع الى قصر فخيم بناهُ لنفسهِ والى جانب قصرهِ مخزن للاخشاب . ففي الليل الماضي شبَّت النار في ذلك المخزن واسرعت اليهِ رجال المطافئ ولكنها لم تتمكن من اخماد النيران الا بعد ان التهمت المخزن برمتهِ . وبعد اجراء البحث لمعرفة سبب شبوب النار وُجد ان صاحب القصر غير موجود ولدى دخول رجال الشحنة الى غرفته وجدوا سريرهُ في غاية الترتيب مما يدل على انهُ لم ينم فيهِ وان خزانتهُ الحديدية مفتوحة وجملة من الاوراق المهمة مبعثرة في وسط الغرفة . وظهر لهم ما يدل حصول خصام ومنازعة وبعض بقع دم ولا سيما على عصا بجانب الباب . ولدى استنطاق خادمة المستر اولداكر عُلم ان زائراً جاء في المساء الى البيت وهو فتًى محامٍ يدعى جون مكفرلين . ويؤكد رجال الشحنة ان في الامر جناية فظيعة يسعون في كشف حقيقتها »

وما كدت اتم قراءة ذلك حتى انتزع مكفرلين الجريدة من يدي ثم بحث عن محلٍ آخر فيها وقال اقرأ هذه ايضاً . فقرأت

« علمنا بعد كتابة ما مضى ان الشحنة اتهمت المدعو مكفرلين بقتل المستر اولداكر واصدرت امراً بالقبض عليهِ . وقد اظهر البحث المدقق ان نافذة الغرفة

فتحت وظهر عليها اثر سحب جسم ثقيل فان القاتل بعد ان اجهز على ذلك المسكين جرّهُ من النافذة الى مخزن الخشب ثم احرق المخزن ليخفي اثمهُ لانهُ ظهر في رماد الحريقة بعض العظام المحترقة و بقايا الجثة . وقد وُضع الامر في يدي مفتش الشحنة الشهير المستر لستريد ليكشف معماهُ بحذقهِ المعهود ومهارتهِ العجيبة »

وكان شرلوك يسمع باصغآء تام فلما انتهيت نظر الى الزائر وقال لهُ وكيف اراك هنا يا صاح مع صدور الامر بالقآء القبض عليك . فقال انا يا مولاي قاطن في بلاك هيث مع والديّ . في المسآء الماضي دعتني اشغال مهمة الى مقابلة المستر اولداكر فاتيت الى نوروود وعند رجوعي وجدت اني قد تأخرت عن موعد القطار فذهبت الى نزل في تلك البلدة و بتُّ فيهِ ولم اعلم شيئاً مما حصل الى هذا الصباح حين ركبت القطار عائداً الى محلي فابتعت الجريدة ووقع نظري على ما كتب فيها فكدت اجن وعلمت انني ان بلغت محل شغلي وجدت الشرطة بانتظاري فاتيت توًّا اليك لعلمي انهُ ليس في امكان غيرك ان ينقذني من هذه الورطة . وقد لاحظت رجلاً يتبعني في مسيري اليك و . . . . .

وقطع حديث الرجل قرع الباب ثم ظهر على باب الغرفة المفتش لستريد وورآءهُ اثنان من الشرطة . ولما رآنا لستريد قال بتبسم ايها المستر مكفرلين انني باسم الحكومة التي عليك القبض لقتلك المسكين جون اولداكر في نوروود . فجحظت عينا الفتى واصفرَّ وجههُ ثم نظر الينا نظرة اليأس وسقط الى كرسيٍّ بجانبهِ

فقال شرلوك قد بدأ المتهم يقصُّ حديثهُ علينا ايها العزيز لستريد قبل دخولك فهل لك ان تسمح لهُ باتمامـهِ فلعلنا نجد ما يكشف القناع عن هذه الجريمة واذا تاخرت نصف ساعة عن اخذه فلا يضرُّك ذلك . فقال لستريد لا امنعك شيئاً ايها العزيز شرلوك ولا سيما لاننا نقرُّ جميعاً بفضلك ومساعدتك لنا في امور كثيرة فانا اسمح للسجين ان يتم حديثهُ ولكن يجب ان ابقى معهُ . وامتلك الفتى روعهُ فقال

انني لا اعرف المستر اولداكر الا بالاسم فقط وقد كان من اصدقآء والديّ قديماً . في الامس كنت في مكتبي واذا بهِ داخل فعرَّفني بنفسهِ فتعجبت من

مجيئهِ اليَّ ولكن زاد عجبي جدًّا عند ما علمت غايتهُ من المجيء . فانهُ جلس بقربي وطرح امامي عدة اوراق مذكرات لا تزال معي وقال لي هذه ايها المحامي وصيتي فارغب اليك ان تكتبها لي بالطريقة القانونية . فاخذت الاوراق وبدأت بالعمل فكدت افقد عقلي لما وجدت انهُ في تلك الوصية قد ترك كل املاكهِ وامواله ومقتنياتهِ لي انا . فنظرت اليهِ مستغرباً فتبسم وقال لا تتعجب من ذلك ايها العزيز فانا غير متزوج وليس لي انسباء وقد عرفت والديك من زمن طويل وسمعت عن مهارتك وحسن سيرتك فعلمت ان ثروتي اذا وصلت اليك تزيدك نفعاً ويسرني انها تكون في يدي من يقدرها حق قدرها . فشكرتهُ كما يليق وعدت الى الكتابة فاتممت الوصية وامضاها وطلب من كاتبي ان يشهد عليها ففعل وها هي المذكرات الاصلية التي نقلت عنها . ولما انتهينا طلب مني ان اجيء اليهِ في المساء الى نوروود ليسلمني بعض صكوك وحجج وان ابقى عنده للعشاء والحَّ عليَّ ان لا اخبر احداً بالامر وعلى الخصوص والديَّ قبل ان يتم كل شيء فوعدتهُ بذلك . واذ ذاك ارسلت الى والديَّ بالبرق انني لست بعائدٍ الى البيت تلك الليلة لاشغال تمنعني وجئت نوروود فبحثت عن بيت الرجل حتى اهتديت اليهِ ودخلت ... فقاطعهُ شرلوك قائلاً ومن فتح لك الباب . قل امرأة في متصف العمر اظنها خادمتهُ فادخلتني الى غرفة رأيت فيها مائدة الطعام . وبعد ذلك اخذني المستر اولداكر الى غرفتهِ وفتح خزائنهُ الحديدية فاخرج منها وراقاً عديدة وجعلنا نتلوها معاً الى نصف الليل ولما هممت بالانصراف امرني ان اخرج من النافذة لانهُ لا يحب ان يزعج خادمتهُ بفتح الابواب واقفالها . فخرجت من النافذة ونسيت عصايَ فسألتهُ ان يعطيني اياها فقال لا بأس من تركها هنا لتكون رهناً لمجيئك ثانية لاني اود ان اراك كثيراً بعد الليلة . فانصرفت وكان قد فاتني القطار فبت في النزل ولم اعلم شيئاً مما حصل بعد ذلك

ولما فرغ مكفرلين من سرد حديثهِ قال لستريد أيمكنني اخذ سجيني الآن ايها العزيز شرلوك ام لديك مسائل اخرى تريد القاءها . قال لم يعد لي شيء اسأل

عنهُ قبل ان ازور بلاك هيث . فقال لستريد اظنك تعني زيارة نوروود حيث حصلت الجناية . فتبسم شرلوك وقال ربما غلطت في ذكر الاسم . فالتفت لستريد الى الشرطيين وقال خذا السجين وانتظراني خارجاً لاني اود ان اكلم صديقنا شرلوك على انفراد . ففعلا كما أُمرا والقى علينا مكفرلين قبل خروجهِ نظراً ترجم عما يكنهُ صدرهُ من الحزن وتعليق الامل بنا . وكان شرلوك قد اخذ الاوراق المكتوبة فيها الوصية فقال للستريد ماذا تستنتج من هذه الاوراق . فقال بعد ان رمقها بنظرهِ ان بعضها مكتوب بخط جيد وبعضها تصعب قرآءتهُ وبعضها لا يمكنني تفسيرهُ ولكنني لا اعلم سبب ذلك . فقال شرلوك ذلك يدل على انهـا كتبت في اثنآء السفر فالواضحة منها كتبت في المحطات والبقية كتب بعضها عند اول سير القطار وبعضها عند اشتداد سيرهِ . فقال لستريد ولكن ماذا يهمنا من معرفة ذلك فلا فرق عندي كتبت الوصية في القطار او في البيت . فقال شرلوك اما انا فان ذلك يهمني كثيراً لانني علمت اولاً ان اولداكر كتب الوصية في القطار وثانياً انهُ كتبها بعد خروجهِ من زيارة في بلاك هيث وهو عائد الى لندن . فقال لستريد ومن اين تنبأت عن ذلك . فقال من عدد المحطات فان كل كتابة واضحة تدل كما اسلفنا على انها كتبت في احدى المحطات ومجموع الاسطر الواضحة كتابتها يوافق عدد المحطات التي يقف فيها القطار ولا يوجد خط يقف فيهِ القطار على ما يناسب تخميننا هذا الا الخط الممتد من نوروود الى بلاك هيث فلندن . فقال لستريد لا ارى في كل ذلك ما يتعلق بما نحن فيه فانهُ من المؤكد ان مكفرلين هو القاتل وهي حقيقة واضحة فانهُ لما علم بان ثروةً تتصل اليه بعد وفاة اولداكر اراد ان يعجل في الحصول عليها فاتاهُ الى بيتهِ وقتلهُ ثم جرَّهُ الى مستودع الخشب فاحرقهُ ليخفي الجثة ويخفي فعلتهُ

فقال شرلوك لا اظنك تتمسك كثيراً بهذا الوهم ايها العزيز لستريد لانهُ لا يُحتمل ان رجلاً يقتل غنيًّا ليستولي على ماله بعد ان يكون ذلك المال قد صار ملكاً لهُ بموجب الوصية . ثم اذا فرضنا ذلك فلا اظن من المحتمل ان يقع القتل

في نفس اليوم الذي كتبت فيهِ الوصية ولا في نفس بيت الموصي ولا بعد ان يُعرَف ان الموصَى له قد دخل بيت الموصي. واخيراً لا اظن ان القاتل يجهد نفسهُ باخذ الجثة لاحراقها وكتم امرها ويترك عصاهُ في البيت لتكون شاهداً على جريمتهِ. فقال لستريد ليس هذا بالبرهان يا شرلوك لانهُ كثيراً ما يعرض للقتلة ان يغفلوا عن اشياء صغيرة كهذه فهل لك برهانٌ غير ذلك. قال عندي براهين كثيرة ولكن ما لنا ولذكرها فانني مع وجود كل الادلة على جريمة مكفرلين لا اجزم بصحة ذلك قبل تحقيقهِ تماماً فمن الجائز ان يكون ما ذكرهُ المتهم صحيحاً وان يكون القاتل لصًّا غريباً مرَّ فرأى من النافذة الخزانة المفتوحة والاوراق فانتظر خروج المحامي ودخل فقتل الرجل طمعاً في مالهِ ولما لم يجد الا اوراقاً تركها لانها لا تنفعهُ. فقال لستريد بتهكم انا ذاهب الآن لاتمام عملي واسعَ انت ايها العزيز شرلوك في القاء القبض على اللص الذي تدعي وجودهُ وعساك ان تظفر بهِ قبل ان ينفذ حكم القتل على مكفرلين. ولما قال ذلك حنى رأسهُ مودعاً وخرج

ولما خلونا نهض شرلوك هولمز وجعل يستعد للخروج وقال لي سأذهب ايها العزيز وطسن الى بلاك هيث. فقلت ولمَ لا الى نوروود. قال اراك كرجال الشحنة تبدأ بالعمل من آخرهِ فان مبدأ الامر كان من بلاك هيث واولداكر لم يفكر في كتابة الوصية الا بعد خروجهِ من هناك. ولا ارى لزوماً لان تتبعني فاني سأعود سريعاً

ولما عاد شرلوك وكنت انتظرهُ بكل شوق رأيتهُ مشرَّد الفكر وبعد ما استراح قليلاً سألتهُ عما بدا لهُ فقال قد تحققت ما داخلني من الريب. فان اولداكر ذهب الى بلاك هيث قبل كتابة الوصية وزار فيها والدة مكفرلين وقد علمت انهُ كان يحبها شديداً ووعدها بان يتزوجها ثم نكث عهدهُ فاقترنت بزوجها الحالي. وعلمت ان اولداكر ذهب اليها بالامس يسألها ان تنفصل عن زوجها وتعود اليه فابت والحَّ فلم تقبل لمعرفتها بسوء اخلاقهِ وشرورهِ فخرج وبه غيظ عظيم مهدداً اياها بالانتقام. ولما رجعتُ من هناك عرَّجت على نوروود فزرت بيت القتيل

واعملت جهدي في ملاحظة كل ما فيه فلم اجد شيئاً جديداً بل رأيت على بساط الغرفة آثار اقدام اولداكر ومكفرلين فقط مما يدل على عدم وجود ثالث . ورأيت آثار الدم ولكنهُ كان خفيفاً جدًّا لا اظنهُ دم قتيل ورأيت العصا فتحققت انها عصا مكفرلين واقتفيت اثر سحب الجثة من النافذة فلم استوضحهُ جيداً ولكن رأيت الاثر يتصل الى مخزن الخشب ووجدت في الرماد قطع عظام لو كانت جثة انسان لبقي منها اكثر من ذلك . ورأيت ايضاً ازرار الثياب ففحصتها فحصاً مدققاً فوجدت انها ليست من جنس واحد مما يدل على ان الشخص كان مرتدياً بثوبين او اكثر او ان الجثة كانت ملفوفة بعدة ثيابٍ مختلفة . ثم واجهت الخادمة وبذلت جهدي فلم استفد شيئاً جديداً . ومع كل ذلك فاني اعتقد ان في الامر سرًّا لا بد لي من كشفهِ لاظهر لصديقنا لستريد انهُ هو الواهم واقتصّ منهُ جزآء عدم اكتراثهِ بملاحظاتي . وفوق هذا كلهِ فان في صدري ما يؤكد لي ان صديقنا مكفرلين بريء ومن الظلم ان نتركهُ ولا نمدّ يداً لمساعدتهِ فقد عزمت على ايضاح امرهِ ولا بدّ لي من ذلك

ونمنا ليلتنا فلما كان الصباح نزلت الى غرفة الطعام فوجدت صديقي شرلوك هولمز جالساً الى مائدة عليها عدة جرائد ورسالة برقية وقد ملأ ارض الغرفة من بقايا لفائف التبغ ونظرت اليهِ فوجدت حول عينيهِ هالة سودآء دلتني على انهُ لم ينم تلك الليلة . وقبل ان اسألهُ عن شيء اشار الى الرسالة التي امامهُ وقال ما قولك في هذه يا وطسن . فقرأت الرسالة واذا هي من لستريد يقول فيها « انصح لك ان تقلع عن بحثك فقد ظهرت لنا دلائل جديدة قاطعة تثبت جناية مكفرلين وارتكابهُ الجريمة » . اما انا فلبثت بعد قرآءتها صامتاً فقال لي شرلوك اني لم اقطع الامل بعد وربما كان في ما يصفهُ لستريد من الدلائل القاطعة ما يساعدني على تحقيق ظني فهلمَّ بنا الى نوروود . وللحال ركبنا عربة وانطلقنا مسرعين فقابلنا لستريد بوجهٍ طافح سروراً وقال هازئاً عسى ان تكون قد اظهرت غلطي ايها العزيز شرلوك ووجدت اللص . ثم قال تعالَ معي فاريك البرهان القاطع والحجة الدامغة الدالة على جريمة

مكفرلين . ولما قال هذا قادنا الى غرفة اولداكر ولما وصلنا الى قرب الباب قال هنا الجهة التي جآء اليها مكفرلين ليأخذ قبعتهُ فانظرا الى الحائط تجدا اثر ابهام يدهِ مرسوماً بالدم على الحائط . ومن المقرر انهُ لا يوجد في العالم خطوط ابهام تتشابه بين شخص وآخر وقد اخذنا رسم هذه الخطوط وقابلناها على ابهام مكفرلين فوجدناها اياها بعينها واظن ان هذه العلامة هي نهآئية في مسألتنا . فاخذ شرلوك من جيبهِ بلورة معظمة وفحص الاثر ثم قال نعم ان هذه العلامة نهآئية . ولما سمعت ذلك منهُ اوشكت ان اقطع الامل من جهة فكره الاول لولا ما ظهر لي في وجههِ من الابتسام الدالّ على انهُ لم يُغلب بعد . ثم قال لمَ لم تروا هذه العلامة امس . فقال لستريد لاننا لم نهتم بفحصها قبلاً . قال شرلوك اما انا فقد اهتممت بها واؤكد لكم ان هذه العلامة لم تكن امس على الحائط فهي مما أُحدث اليوم . ولما كان مكفرلين منذ صباح امس في سجنه فليس من المحتمل ان يكون قد جآء فرسم هذه العلامة ثم عاد الى سجنه . وقد تيقنت الآن ما فرضتهُ قبلاً واؤكد ان مكفرلين ليس مجرماً ولي الامل ان اظهر لكم برآءتهُ بعد قليل . ولما قال هذا اخذ بيدي وقادني الى خارج القصر وجعل يتأمل الغرفة والنافذة ثم سطح البيت ومدخلهُ فابرقت اسرتهُ و بانت ملامح السرور على وجههِ . ثم قال اتبعني فتبعتهُ ودخلنا القصر فمررنا من امام غرفةٍ كان فيها لستريد جالساً الى مائدةٍ يكتب تقريرهُ فقال لهُ تعالَ ايها الصديق قبل ان تتم كتابتك لأريك ما ربما يلزمك ان تذكرهُ في تقريرك . فنهض لستريد مستغرباً وقال ما الذي تريد ان تريَنيهِ ايها المكتشف العظيم . قال اود ان اريك الشاهد الذي يؤيد دعواي . قال واين هو . قال سأحضرهُ اليك عن قريب ولكن كم عندك من رجال الشحنة هنا . قال ثلاثة . قال وهل اصواتهم قوية . قال صوت كل واحد منهم كصوت الثور ولكن ما مرادك من ذلك . قال سترى فارجو ان تدعوهم اليك وتأمرهم باحضار دلوين من المآء فان ذلك يلزمنا فيما سنفعلهُ . ثم نظر اليّ وقال اما انت يا وطسن فادخل الاصطبل وهات منهُ ما تستطيع حملهُ من الهشيم والحشيش اليابس . فاسرعت لتلبية امرهِ

علماً بانهُ لا يفعل شيئاً عن غير روية واحضرت ما امر بهِ . وكانت رجال الشحنة قد احضرت الدلآء فقادنا بسكون الى الطبقة العليا من البيت وفيها ممرٌّ امرنا ان نقف فيهِ وكنا جميعنا ولا سيما لستريد نستغرب فعلهُ ونعجب بسكونهِ وتبسمهِ الغريب . ولم يطق لستريد احتمال مثل ذلك التشخيص فقال لعلك تهزأ بي يا شرلوك هولمز. قال معاذا الله ايها العزيز بل قد تحققت وجود شاهد يشهد بصحة ما ذهبت اليهِ وسأحضرهُ امامك في الحال . ثم امرني ان اشعل الهشيم الذي احضرتهُ فوضعتهُ في منتصف الممرّ واشعلت ثقاباً وادنيتهُ منهُ فالتهب للحال وارتفع عنهُ دخان كثيف جدًّا وكنا جميعنا ننظر الى شرلوك نظرنا الى مشعوذٍ سيقوم بتمثيل فصولٍ غريبة . ولما ارتفع الدخان امرنا ان نصيح باعلى صوتنا « الحريق . . النار » فامتثلنا امرهُ وصحنا بملءِ حناجرنا . ثم امرنا فكررنا ذلك مرةً ثانية ثم ثالثة واذا بحائط الممرّ قد انشقَّ وفُتح فيهِ باب سرّي خرج منهُ شخص قصير القامة ضخم الجثة فما خطا خطوتين حتى رآنا فامتقع لونهُ واضطربت اعضآؤهُ واراد الرجوع فلم تمكنهُ رجلاهُ من الانتقال . وكان شرلوك قد القى يدهُ على عنقهِ فقال لهُ اهلاً وسهلاً بك ايها الشاهد الامين فانا في انتظارك . ولما قال هذا نظر الى لستريد فقال قد انتهى الامر ولا لزوم الآن لاحراق البيت فمر رجالك بصب المآء واطفآء الهشيم المشتعل

ولما احطنا بالرجل وفحصنا امرهُ وجدنا انهُ هو نفس جون اولداكر القتيل المزعوم فنظر الى شرلوك نظرة الذليل وقال صدّقني يا مولاي انني انما فعلت ذلك بقصد المزح فقط ولم يخطر لي قط ان يلحق مكفرلين ادنى ضرر بسببي . فقال شرلوك تقول هذا القول في موقف القضآء فانهُ لا يعنيني . اما لستريد فوقف مسروراً بما حصل وخجلاً من شرلوك ومن نفسهِ لانهُ رأى من هو ادرى منهُ في مهنتهِ . واظهر التحقيق بعد ذلك ان اولداكر البنّآء المذكور هو باني بيتهِ وقد اوجد فيهِ ذلك المخبأ الخصوصي لملهُ يحتاج اليهِ . فلما زار عشيقتهُ والدة مكفرلين ورأى انها لا تطيع رغبتهُ صمم على الانتقام منها بقتل ابنها الوحيد فنصب ذلك الشرك لمكفرلين واخذهُ الى غرفتهِ ولما انصرف منها كما مرّ اخذ اولداكر ارنباً عندهُ

فذبحهُ ولطخ بدمهِ عصا مكفرلين و بعض جهات الغرفة ثم لفهُ بأثواب قديمة عندهُ وجرهُ الى مخزن الخشب فاحرقهُ واختفى في مكمنهِ وترك هذه الدلائل كلها مع عصا مكفرلين شواهد تثبت جناية الفتى ليحكم عليهِ بالقتل ويفوز بانتقامهِ

وكان لستريد كالمبهوت فلما تجلى ذهولهُ قال لشرلوك كيف توصلت الى كشف هذا السر العجيب . فقال شرلوك اني تحققت من علامة الابهام ان مكفرلين لم يكن هو القاتل لان العلامة لم تكن امس ولانهُ يستحيل ان يخرج ذاك من سجنه ليرسمها. وتيقنت من الدلائل السابقة ان اولداكر لم يمت وان ما وجد من العظام المحترقة ليس من جثتهِ واظهر لي بحثي في بلاك هيث انهُ كان عاملاً على اهلاك الفتى . وقد تحققت اليوم انهُ لما دعاهُ الى غرفتهِ كلفهُ ان يختم رزمةً من الاوراق بابهامهِ ثم خرج في هذه الليلة فاخذ ذلك الختم وصبَّ عليهِ شمعاً ثم غمسهُ في الدم ولطخ بهِ الحائط ليحقق التهمة على المسكين مكفرلين . ولما تقررت لديَّ هذه الحقيقة علمت ان اولداكر ليس بعيداً عن هذا البيت ثم عند فحصي اليوم وجدت ان بجانب سطح الطبقة العليا سطحاً آخر ينحطّ عنهُ مسافةً فلم اشك ان هناك غرفةً سرية بناها صاحب البيت لغايات خصوصية . وخطر لي ان اجرب حريق البيت لعلمي انهُ لا يقوى على ضبط نفسهِ من الخروج ففعلت ونجحت

وكنا جميعنا نعجب من دقة افكارهِ وتوقد ذهنهِ ولا سيما لستريد فانهُ حنى رأسهُ مقرًّا بقصورهِ وعاد الى الغرفة التي كان فيها ليتمم تقريرهُ فقال امل عليَّ يا شرلوك ماذا اكتب . فقال اكتب الحقيقة واياك ان تذكر اسمي بل دع الفضل كلهُ لك لانك احوج الى ذلك مني . فصافحهُ لستريد شاكراً وخرجنا عائدَين الى منزلنا ولم ارَ شرلوك مسروراً كما رأيتهُ في ذلك اليوم

اما مكفرلين فأُطلق سراحهُ للحال وكان اول اعمالهِ ان اتى شاكراً وحُكم على اولداكر فنال جزاء فعلهِ وعادت جميع املاكهِ الى مكفرلين طبقاً لمنطوق الوصية فاستولى عليها وخصّ شرلوك بجانبٍ كبير منها اقراراً بفضلهِ ومكافأةً لهُ على صنيعهِ

———